



## التبرك بزيارة المراقد المقدسة في كتب الرحلات-رحلة ابن جبير إيمودجاً-

فوزي خيرى كاظم<sup>١</sup>

١-كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة / قسم علوم القرآن، العراق؛

[fawzy1000@gmail.com](mailto:fawzy1000@gmail.com)

دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية / مدرس

### ملخص البحث:

يتحدث البحث عن مسألة عقائدية مهمة جداً ألا وهي زيارة المراقد المقدسة للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) جميعاً والأولياء الصالحين من السلف الصالح والتبرك بها، وما لذلك من أهمية دينية وروحية عند عامة المسلمين، لاسيما أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الذين يقومون بزيارة هذه المراقد المقدسة تبركاً بها وطلباً لشفاة صاحب القبر يوم القيامة بما له من كرامة عند الله سبحانه وتعالى. وتأتي أهمية هذا الموضوع من محاولة تسليط الضوء على مشروعية هذه الزيارات عند المسلمين جميعاً وليست مقتصرة على مذهب الإمامية كما يحاول بعض الذين في نفوسهم مرض تصوير ذلك بأنه مختص بهذا المذهب دون غيره من المذاهب الأخرى، وان ذلك يعد من الذنوب العظيمة بل يصل الى حد الشرك في أبجدياتهم العقائدية السقيمة، لذلك يؤلفون ويكتبون عن - هؤلاء المشركين - الذين اتخذوا القبور مساجد، بل صوّروا للناس أنهم يعبدون أصحاب تلك القبور دون الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لذا فقد جاء البحث ليسلط الضوء على مشروعية تلك الزيارة عند عموم المسلمين في كتبهم، وقصدنا منها كتب الرحالة على وجه الخصوص كونها غالباً ما تمثل نقلاً لمشاهداتهم لما يرون خلال ترحالهم بالمدن والأمصار فيسجلون ما يشاهدونه من ممارسات الناس وأفعالهم فتشكل تلك الأخبار مادة دسمة لا تخضع - في غالب الأحيان - لآراء الرحالة وتأثيراتهم العقائدية على تلك الممارسات، ولعل من أبرز الرحالة العرب الذي دون في رحلته مثل هذه الممارسات الدينية الرحالة العربي (ابن جبير) في رحلته المشهورة، التي سجل فيها الكثير من تلك المشاهدات لزيارة المسلمين لتلك المراقد والتبرك بها، بل قام هو كذلك بزيارتها. وتخلل ذلك الحديث عن مشاهدات لزيارة بعض المواقع كصخرة جلس عليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تتبرك الناس بها وغير ذلك ممن هو خارج عن إطار المراقد والمقامات المقدسة.

### تاريخ الاستلام:

٢٠٢١/٢/١٥

### تاريخ القبول:

٢٠٢١/٤/٢٥

### تاريخ النشر:

٢٠٢٢/٩/٣٠

### الكلمات المفتاحية:

ابن جبير، زيارة، تبرك، آثار، مراقد، النبي، أهل البيت، قبور، رحلة.

المجلد (١١) العدد (٤٣)  
صفر ١٤٤٤هـ-أيلول ٢٠٢٢م

DOI:  
10.55568/amd.v11i43.157-184



# Blessings Seeking in Visiting Holy Shrines in Travel Books (the Journey of Ibn Jubayr as a Model)

Fawzi Khairy Kadhum<sup>1</sup>

1-College of Imam Al-Kadhim for University Islamic Sciences / Dept of Quran  
Sciences, Iraq; [Fawzy1000@gmail.com](mailto:Fawzy1000@gmail.com)  
PhD. in History and Islamic Civilization / Lecturer

---

## Received:

15/2/2021

## Accepted:

25/4/2021

## Published:

30/9/2022

---

## Keywords:

Ibn Jubayr, visit,  
blessing, monu-  
ments, shrines, the  
Prophet, Ahalal-  
bayt, graves, trip

---

## Al-Ameed Journal

Volume (11)

Issue (43)

Safar 1444 H  
September 2022

DOI:

10.55568/amd.v11i43.157-184



## Abstract

The research talks about a very important doctrinal issue, namely, visiting the holy shrines of the prophets and imams, peace be upon them all, this has religious and spiritual significance for the general Muslims, especially the followers of Ahalalbayt, peace be upon them, peace be upon them, who visit these holy shrines to be blessed by them and seek the intercession of the owner of the grave on the Day of Resurrection. The importance of this topic comes in an attempt to shed light on the legitimacy of these visits among all Muslims, and not limited to the imamate doctrine, as some of those who suffer from a disease try to portray this as being specific to this sect and not to other sects. That is, it is considered as one of the great sins, and even misses the point of polytheism in their ill ideological alphabet. Therefore, they write about - these polytheists - who use graves as mosques, rather, they describes the people who visit the shrines as they worship the owners of those graves without God Almighty. Therefore, the research is to elucidate the legitimacy of the visit among Muslims in their books. It is intended to show what the travelers wrote in particular, as they often represent the transmission of their observations of what they saw during their travels in cities and regions. So they record what they observe from the practices and actions of people so that the news forms a fruitful material, objective. In most cases - According to the opinions of the travelers and their ideological influence on these practices, perhaps one of the most prominent Arab travelers who recorded such religious practices during his trip was the Arab traveler, Ibn Jubayr, in his famous trip, in which he recorded many of these observations of Muslims visiting these shrines and having the bless from them and even he visited them. His observation included some sites, such as a rock on which the Prophet, may the prayers and peace of Him be upon him and his family, sat people took the bless from and others sites that did not belong to holy shrines and locations.

## المقدمة

يُعدّ موضوع زيارة المراقد والمشاهد والتبرك بها موضوعاً مثيراً لكثير من الجدل بين الفقهاء، على الرغم من أن أغلبهم أجازوا زيارتها، ونقل العديد من المؤرخين والبلدانيين والرحالة مشاهداتهم لتلك المزارات وما كانوا يرونه من إقبال الناس على زيارة مرقد النبي ﷺ ومراقد بعض الأئمة والصالحين، وسجلوا ما شاهدوه بأنفسهم، بل قاموا بزيارة تلك المراقد والآثار وتبركوا بها بأنفسهم، لأنهم وجدوا أن زيارتها راحة لأنفسهم وأرواحهم وأبدانهم، وثمة غرض ديني تؤديه مثل هذه الزيارات لتلك الأماكن المقدسة وهو التقرب إلى الله سبحانه بزيارتها، وأبرز هذه الآثار، آثار نبينا الكريم محمد ﷺ وآل بيته الطاهرين ﷺ جميعاً، وكان لآثار الصحابة نصيب من تلك الزيارات من عموم المسلمين. ولعل من أبرز الذين وثّقوا تلك الآثار المباركة وسجّل مشاهداته العينية حولها ما سجله محمد بن أحمد بن جبیر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) في كتابه (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) والمشهور بـ(رحلة ابن جبیر)، من مشاهدات لتلك الزيارات وثّقها بنفسه، وذكرها مفصلة في كتابه، بل تشرف بزيارتها.

ولأجل تسليط الضوء على موضوع زيارة المراقد والتبرك بها في ذلك المؤلف تحديداً باعتباره شاهد عيان لمس ذلك وسجله بنفسه، فقد اتخذناه موضوعاً لبحثنا هذا وعنوانه ” التبرك بزيارة المراقد المقدسة في كتب الرحلات - رحلة ابن جبیر إنموذجاً ”.

وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على ثلاثة محاور رئيسة، أولها التعريف الموجز بالمؤلف ابن جبیر ورحلته، والثاني الاستدلال على مشروعية زيارة المراقد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أما المحور الثالث فخصصناه لدراسة ما ورد في رحلة ابن جبیر من مشاهداته عن زيارة المراقد.

أولاً: التعريف بابن جبير ورحلته

اسمه وكنيته ولقبه:

أشارت بعض المصادر التاريخية، إلى أن اسمه "محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير" ٤٣٢١ هـ. وهو ينحدر من أسرة عريقة تنتسب إلى قبيلة كنانة العربية<sup>٩٨٧</sup>. وكان لهذه الأسرة دور في ميادين السياسة والدين والأدب في الأندلس، فقد دخل أحد أسلافه وهو (عبد السلام بن جبير) في طاعة بلج بن بشر بن عياض القشيري (ت ١٢٤ هـ / ٧٤١ م) إلى الأندلس<sup>١٠ ١١\*</sup>.

مولده ونشأته:

اختلفت الآراء في تحديد السنة التي ولد فيها الرحالة ابن جبير، فهناك من ذكر أن ولادته كانت سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م)<sup>١٢ ١٣ ١٤</sup>، ومنهم من يرى أنها سنة (٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م)<sup>١٥ ١٦</sup>. وشمل

- ١ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، تحقيق. عبد الحليم، محمد بن عبادي ج ١٣، ط ١ (القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٣)، ٢٤.
  - ٢ المنذري، زكي الدين ابي محمد عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق. معروف، بشارة عواد، ج ٤ (النجف: مطبعة الاداب، ١٩٧١)، ٢٨٩.
  - ٣ المقرئ، احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ج ٣، تحقيق. طويل، مريم علي. طويل، يوسف علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ١٣٨.
  - ٤ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تحقيق. شرف الدين، محمد (استانبول، ١٩٤١)، ٨٣٦.
  - ٥ الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ج ٥، ط ١٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٦)، ٣١٩.
  - ٦ الغبريني، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله، عنوان الدرّاية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق. نويهض، عادل، ط ٢ (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٧٩)، ٨٠.
  - ٧ عثمان، سير اعلام النبلاء ٢٤، -٢٥.
  - ٨ ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق. عطا، مصطفى عبد القادر ج ٥، ط ١ (بيروت، ١٩٩٨)، ١٤٣.
  - ٩ ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ج ٣، ط ١ (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ١١١.
  - ١٠ ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبد الله السلماني، الاحاطة في اخبار غرناطة ج ٢، تحقيق. عبد الله، محمد، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٤)، ٢٣٠.
  - ١١ ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ ج ٥ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦)، ٢٥٠-٢٥١.
  - ١٢ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غير ج ٥، تحقيق. المنجد، صلاح الدين (الكويت، ١٩٦٦)، ٥١.
  - ١٣ التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ج ٣، ١٣٨، ٣.
  - ١٤ الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ٥، ١٤٤.
  - ١٥ ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب ج ٢، تحقيق. منصور، خليل، ط ١ (بيروت، ١٩٩٧)، ١٣٨.
  - ١٦ السلماني، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٢، ٢٣٨.
- \* ويلج بن بشر بن عياض القشيري: أحد ولاة الأندلس بعد موسى بن نصير، إذ توّلاها سنة (١٢٣ هـ / ٧٤٠ م)، واستمرت ولايته ستة أشهر فقط، وعاصر حكم هشام بن عبد الملك الأموي (١٠٥-١٢٥ هـ / ٧٢٣-٧٤٢ م). ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٥ ص ٢٥٠-٢٥١.

الاختلاف أيضاً مكان ولادته، فقيل إنه ولد في بلنسية<sup>١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١\*</sup>، فيما يرى آخرون أن ولادته كانت في شاطبة<sup>٢٢ ٢٣ ٢٤\*\*</sup>.

كان والده معلمه الأول، إذ حفظ على يديه القرآن الكريم، ثم تلقى علومه على أيدي أبرز معلمي عصره<sup>٢٥</sup>.

ويبدو أن نبوغه العلمي في عدة مجالات ومنها الأدب، كان السبب في أن يُعينه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن (ت ٥٩٥هـ/ ١١٨٣م)<sup>٢٦ ٢٧\*\*\*</sup>.

وعلى الرغم مما وُصف به من علم وأدب، إلا أنه لم يترك من المؤلفات سوى كتابه هذا المعروف بـ(رحلة ابن جبير)، وقد تضمن كل مشاهداته التي سجلها في رحلاته الثلاث تلك. وترك أشعاراً كثيرة نقلها من ترجم له من المؤرخين<sup>٢٨\*\*\*\*</sup>.

### الرحلة وأهميتها

يعدّ ابن جبير من أهم رحالة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد طاف بلاد المشرق العربي ومصر وبلاد الشام، حين خرج من بلاده لأداء فريضة الحج، وقد تميز من غيره

- 
- ١٧ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج٤، ٢٨٩.
- ١٨ السلماي، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ٢٣٨.
- ١٩ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، ج٣، ٣١٣٨.
- ٢٠ الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان ج٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٧)، ٤٩٠.
- ٢١ ابن عبد الحق، صفى الدين البغدادي، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج١، تحقيق. البجاوي، علي محمد، ط١ (د.م.: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٤)، ٢٢٠.
- ٢٢ الغرناطي، المغرب في حل المغرب، ج٢، ٣١١.
- ٢٣ السلماي، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ٢٣٨.
- ٢٤ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق. عباس، احسان، ط١ (بيروت، ١٩٨٤)، ٩٧.
- ٢٥ نصار، حسين، رحلة ابن جبير تراث الانسانية ج١ (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.)، ٢٣٧.
- ٢٦ الغرناطي، المغرب في حل المغرب، ج٢، ٣١١.
- ٢٧ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس ج٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٠)، ٣٢٤.
- ٢٨ حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٨٣٦.
- \* بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، وهي مدينة بحرية وبرية، ذات أشجار وانهار.
- \*\* شاطبة: مدينة كبيرة جلييلة بالأندلس، كثيرة الثمرة طيبة الهواء.
- \*\*\* هو أبو سعيد عثمان بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي، ولاه أبوه على مدينة غرناطة حين دخل الموحدون الأندلس سنة ٥٥٥هـ، مات سنة ٥٧١هـ.
- \*\*\*\* مُجمعت أشعاره بعد وفاته في مؤلفين بشكل ديوانين من الشعر سمي الأول: (نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح) وقد ضم قصائد في رثاء زوجته (عائكة أم المجدد) بنت الوزير الوقشي، وسمي الثاني: (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ص ٨٣٦.

من الحجاج، بأنه كان يسجل بدقة مشاهداته عن البلدان التي زارها، وقدم وصفاً دقيقاً عن مصر والحجاز وبلاد الشام والعراق، كذلك وصل في أسفاره إلى صقلية، وتحدث عن أحوال المسلمين فيها، وقدم وصفاً دقيقاً ونادراً عن صقلية في المدة التي زارها فيها<sup>٢٩</sup>. وقد قام ابن جبير برحلته هذه سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)<sup>٣٠</sup> ورافقه فيها احمد بن حسان القضاعي<sup>\*\*</sup> (ت بحدود ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، ويعتقد انه دونها بشكل مذكرات يومية سنة (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)<sup>٣٣</sup>، وقد أطلق عليها عدة تسميات منها (كتاب اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، وسميت أيضاً (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)<sup>٣٥</sup>، فيما أطلق عليها حاجي خليفة اسم (رحلة الكناني)<sup>٣٦</sup>، وربما أخذ عنه كراتشكوفسكي<sup>٣٧</sup> هذا الاسم، وأطلق عليها ناشروها في العصر الحديث اسم (رحلة ابن جبير)<sup>٣٨</sup>. وقد اعتبرت هذه التسميات جميعاً، أسماء لرحلة بلغت من الشهرة وعلو القدر ما جعلها جديرة بتعدد أسماؤها التي هي في الواقع أوصاف لها وكنية لصاحبها<sup>٣٩</sup>.

وتعد هذه الرحلة من أهم المؤلفات العربية، لاسيما في تاريخ صقلية في عهد وليم الصالح الثاني<sup>٤٠</sup>\*\*\* (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، واعتبر حديثه عن آثار صقلية عظيم الأهمية، لاسيما وأن

- ٢٩ حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (بيروت، ١٩٩٨)، ٧٢-٧٦.
- ٣٠ مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس (مدريد: معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٦٧)، ٤٥١.
- ٣١ التلمساني، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ٣٨٥، -٨٦.
- ٣٢ الريامي، كمال بن محمد، مشاهير الرحالة العرب (القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ٦٨.
- ٣٣ احمد، رمضان احمد، الرحلة والرحالة المسلمون (د.م: دار البيان العربي، د.ت)، ٣٢٥.
- ٣٤ كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، تحقيق. هاشم، صلاح الدين. عثمان. مراجعة. بليانف، اغيور (موسكو، ١٩٥٧)، ق ١/ ٢٩٩.
- ٣٥ محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى. ٧١-٧٠.
- ٣٦ حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ٨٣٦.
- ٣٧ يوليانوفتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق ١/ ص ٢٩٩.
- ٣٨ ضيف، شوقي، الرحلات، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص ٧١.
- ٣٩ احمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٣٢٧.
- ٤٠ احمد، عزيز، تاريخ صقلية الاسلامية، نقله الى العربية وقدم له. الطيبي، امين توفيق (د.م: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠)، ص ٧٠-٧١.
- \* ذكر أن هذه الرحلة كانت بسبب قيام أبي سعيد بن عبد المؤمن أمير غرناطة باستدعاء ابن جبير يوماً ليكتب له كتاباً وكان يشرب الخمر حينها، فناول ابن جبير قداً من نبيذ، فأبى ابن جبير تناوله، فأقسم عليه الأمير بمينا مغلطة ليشرب من النبيذ سبعة أقداح، فشرها صاغراً، ثم ردها عليه أبو سعيد سبعة أقداح مملوءة بالدنانير. وبعد ذلك الذنب أزمع ابن جبير أن يحج تكفيراً عن خطيئته، فخرج من غرناطة سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م.
- \* احمد بن حسان القضاعي: طبيب اصدر في الطب كتاباً مفيداً من مدينة (أندة) وهي إحدى مقاطعات بلنسية، كتب للأمر أبي سعيد بن عبد المؤمن. ابن جبير، الرحلة، ص ١٢. احمد بن حسان القضاعي: طبيب اصدر في الطب كتاباً مفيداً من مدينة (أندة) وهي إحدى مقاطعات بلنسية، كتب للأمر أبي سعيد بن عبد المؤمن. ابن جبير، الرحلة، ص ١٢.
- \*\* وليم الصالح (الثاني): من سلالة النورمان، الذين حكموا صقلية وقد حكم للمدة (٥٦٢-٥٨٥هـ/ ١١١٦-١١٨٩م)، ولم يكن عمره يتجاوز الثالثة عشرة حينما ارتقى العرش، جهز عدة حملات عبر البحر المتوسط لغزو أراضي المسلمين. للمزيد من التفاصيل ينظر: احمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٧٠-٧١.

كثيراً من المؤرخين قد أهملوا هذه الناحية<sup>٤١</sup>. وقد تحدث فيها عن أحوال المسلمين وحياتهم بجزيرة صقلية<sup>٤٢</sup>. ولعل ما ذكر فيها من أخبار مهمة جعلها مرجعاً لكثير من الباحثين في الوقت الحاضر. ولم تكن رحلته الأولى هي الوحيدة التي قام بها، فقد قام برحلتين أخريين بعدها، إلا أنه لم يدون سوى رحلته الأولى، فقد ذكر أنه قام برحلته الثانية إلى المشرق الإسلامي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، واستغرقت سنتين وبضعة أشهر، وكان سبب قيامه بهذه الرحلة ما سمعه عن استعادة المسلمين لبيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧).

وفي سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) قام برحلته الثالثة إلى المشرق، وقيل إن سببها كان وفاة زوجته (عاتكة) الذي كان يحبها حباً جماً، فغادر مراكش متجهاً إلى الإسكندرية فاستقر فيها حتى توفي في السنة نفسها<sup>٤٣</sup>.

ثانياً: زيارة المراقد وموقف الشريعة منها

## ١- القرآن الكريم

لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يدل على مشروعية الزيارة، إنما وردت في مضامين أكثر من آية من آياته المباركة، منها: قوله تعالى في شأن أصحاب الكهف ونزاع القوم فيهم بعد أن أماتهم الله: ﴿إِذِ يْتَنَزَعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾<sup>٤٤</sup>، فالمسجد إنما يتخذ ليؤتى على الدوام يتتابه الناس، سواء المعاصرون منهم لقصته أو الأجيال اللاحقة.. وهذا أصبحت مراقد أصحاب الكهف مزاراً يقصده الناس للزيارة، بل أقاموا عليه مسجداً يذكرون اسم الله فيه<sup>٤٥</sup>.

كما وردت إشارة إلى ذلك في قوله تعالى حول النهي عن القيام عند قبور المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>٤٦</sup>، والمراد لا تقف عند قبره

٤١ زيادة، نيقولا، الرحالة العرب (القاهرة، ١٩٥٦)، ص ٥٩.

٤٢ نيقولا، ص ٥٩.

٤٣ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٨٧-٨٨.

٤٤ الكهف، ٢١.

٤٥ عبد الحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط ١ (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١)، ص ١٤-١٨.

٤٦ التوبة، ٨٤.

للدفن أو للزيارة، فإذا كان هذا النهي قد ورد في شأن من مات على الكفر، كما هو في ذيل الآية نفسها فيه دلالة واضحة على أن ذلك جائز، بل ومعهود، في شأن من مات على الإسلام<sup>٤٧ ٤٨</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>٤٩</sup>، جاء في أسباب النزول أن الآية في صدر الحديث عن المنافقين الذين تتحدث عنهم الآيات السابقة والذين ارتضوا التحاكم إلى الطاغوت فراراً من التحاكم إلى رسول الله ﷺ، فلو أنهم جاءوا الرسول ﷺ وأظهروا الندم على ما فعلوه واستغفروا منه، واستغفر لهم الرسول ﷺ لتاب الله عليهم<sup>٥٠ ٥١ ٥٢</sup>.

فهذا ما كان في حياة النبي ﷺ يأتيه المذنب فيستغفر، ويطلب منه الاستغفار والشفاعة له، ولما ورد فيها من تكريم خاص وإجلال لرسول الله ﷺ، وجد المسلمون استحباب العمل بها بعد وفاته ﷺ، فيأتي قبره الشريف، ويستغفر عنده ويسأل صاحبه الشفاعة، ذلك لأن إجلال الرسول ﷺ وتكريمه واجب بعد موته كوجوبه في حياته، والعمل بهذه الآية بعد وفاة النبي ﷺ كالعمل بالآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾<sup>٥٣</sup> إذ مضت سيرة المسلمين على وجوب العمل بها عند قبر النبي ﷺ<sup>٥٤</sup>.

## ٢- السنة النبوية الشريفة

تواترت الأحاديث والروايات في المصادر الإسلامية حول استحباب زيارة قبور الرسل والأنبياء عليهم السلام والصالحين لاسيما قبر خاتم الرسل ﷺ، وقبور آله الطاهرين، وثبت بالطرق الصحيحة أن الرسول الأكرم ﷺ كان يزور البقيع وشهداء أحد، وعلى ذلك سار أهل بيته وأصحابه المخلصون،

٤٧ الآلوسي، أبو الفضل محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ج ١٠/ص ١٥٥.

٤٨ السبحاني، جعفر، الزيارة في الكتاب والسنة (د.م، د.ت.)، ص ١٧.

٤٩ النساء، ٦٤.

٥٠ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤)، ج ٥/ص ٢١٧.

٥١ السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير السمعاني، تحقيق: بن إبراهيم، ياسر. بن غنيم، غنيم بن عباس، ط ١ (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧)، ج ١/ص ٤٤٣.

٥٢ تفسير النفسي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود (بيروت: دار المعرفة للطباعة، د.ت.)، ج ١/ص ٢٣٠.

٥٣ الحجرات، ٢.

٥٤ السبحاني، الزيارة في الكتاب والسنة، ص ١٧.



بل يكاد هذا الأمر يكون مجتمعاً عليه عند جميع المسلمين، ولم يشذ عن ذلك إلا بعض الذين في قلوبهم مرض، فزاع عن الحق ونأى عن طريقه، ومن هؤلاء - ولعله أول من سنَّ ذلك - ابن تيمية ومن سار على نهجه فيما بعد \*<sup>٥٥</sup>.

وقد جاء في استحباب زيارة القبور أحاديث كثيرة من طريق أهل السنة فضلاً عما ورد في كتب الشيعة، وسنذكر بعضاً من تلك الأحاديث على ما جاء في تلك المصادر في محاولة لإثبات بطلان من ذهب إلى تكفير كل من يزور القبور، ورموا من يزور قبر رسول الله ﷺ بالشرك فضلاً عما يزور القبور الأخرى مخالفة لما روي في السنة المطهرة، ومن هذه الأحاديث التي ورد فيها تأكيد زيارة قبره الشريف قوله عليه السلام: ”من زار قبري وجبت له شفاعتي“ <sup>٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩</sup>، وقوله عليه السلام أيضاً: ”من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي“ <sup>٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤</sup>، وقوله عليه السلام كذلك: ”من زارني كنت له شفيعاً“ <sup>٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨</sup>.

- ٥٥ ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم الحراني، الفتاوى الكبرى، تحقيق. مخلوف، حسنين محمد (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، ج٢٤/ص٣٢٦-٣٢٧.
- ٥٦ الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تعليق. الشورى، مجدي بن منصور بن سيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ج٢/ص٢٤٤.
- ٥٧ البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين، شعب الإيثار، تحقيق. بن بسوي، ابو هاجر محمد السعيد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ج٣/ص٤٩٠.
- ٥٨ الهيتمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ج٤/ص٢٠.
- ٥٩ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن الكمال، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.)، ج٢/ص٦٠٥.
- ٦٠ الدارقطني، سنن الدارقطني، ج٢/ص٢٤٤.
- ٦١ البيهقي، شعب الإيثار، ج٥/ص٢٤٦.
- ٦٢ الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق. قسم التحقيق بدار الحرمين (دار الحرمين للطباعة، د.ت.)، ج٣/ص٣٥١.
- ٦٣ الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٤/ص٢٠.
- ٦٤ الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال، تحقيق. حيان، الشيخ بكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩)، ج٥/ص١٣٥.
- ٦٥ الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، ص١٣.
- ٦٦ البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين، السنن الكبرى (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ج٥/ص٢٤٥.
- ٦٧ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠)، ج١٥/ص١٧٦.
- ٦٨ الهندي، كنز العمال، ج٥/ص١٣٥.
- \* سئل ابن تيمية عن زيارة القبور فأجاب: أما زيارة القبور فهي على وجهين شرعية وبدعية، فالشرعية مثل الصلاة على الجنائز والمقصود بها الدعاء للميت كما يقصد بذلك الصلاة على جنازته كما كان النبي يزور أهل البقيع... وأما الزيارة البدعية وهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذين يقصدون دعاء الميت والاستعانة به وطلب الخواتج عنده فيصلون عند قبره ويدعون به فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة ولا أمر به رسول الله ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها. ينظر: الفتاوى الكبرى، ج٢٤/ص٣٢٦-٣٢٧.

وكان الصحابة يزورون موتاهم ويقفون عند قبورهم، وقد وردت آثار كثيرة دلّت على ذلك، منها ما رواه ابن أبي مليكة<sup>٦٩</sup> \* قال: ” رحى من منزلي، وأنا أريد منزل عائشة فتلقتني على حمار فسألت بعض من كان معها، قال: زارت قبر أخيها عبد الرحمن ”<sup>٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣</sup>. بل ورد أنها نعتته بتمثلها شعراً<sup>٧٤ ٧٥ ٧٦</sup> \*:

وكنّا كندمانى جديمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وذكر عن الصحابي الجليل بلال بن رباح (ت ٢٠هـ / ٦٤٠م) أنه كان يسافر من الشام

إلى المدينة قاصداً زيارة قبر الرسول ﷺ<sup>٧٧ ٧٨</sup>. وكان عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-

٧١٩م) يجهز البريد من الشام إلى المدينة للسلام على النبي ﷺ، وكان عبدالله بن عمر يأتي قبر النبي

ﷺ فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر<sup>٧٩</sup>.

٦٩ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (د.م.، د.ت.)، ج ٥/ص ٦٠.

٧٠ الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ط ٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، ج ٧/ص ٢٢٢.

٧١ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق. الأعظمي، عبد الرحمن، ط ٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة، د.ت.)، ج ٣/ص ٥٧٠.

٧٢ الأزرقى، محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق. ملحس، رشدي صالح (قم: انتشارات الشريف الرضي،

١٤١١)، ج ٢/ص ٢١١.

٧٣ السرخسي، محمد بن أحمد بن سهل، المبسوط في شرح الكافي للمروزي، تحقيق. مجموعة من العلماء، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة للطباعة،

١٩٨٦)، ج ٢٤/ص ١٠.

٧٤ السرخسي، ج ٢٤/ص ١٠.

٧٥ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، مراجعة. العطار، صدقي جميل، ط ١ (بيروت، ٢٠٠١)، ج ٥/

ص ٥٦٧.

٧٦ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب المطبوع على هامش الإصابة في تمييز

الصحابة، تحقيق. محمد، طه (القاهرة، ١٩١٠)، ج ٤/ص ١٤٥٥-١٤٥٦.

٧٧ ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق. معوض، علي محمد. عبد الموجود، عادل أحمد،

ط ٢ (بيروت، ٢٠٠٣)، ج ١/ص ٢٠٧.

٧٨ الخزرجي، صفى الدين أحمد بن عبد الله اليماني، خلاصة تذهيب تذهيب الكمال، تحقيق. أبو غدة، عبد الفتاح، ط ٤ (بيروت: مكتب

المطبوعات الإسلامية بحلب، دار البشائر الإسلامية، ١٤١١)، ص ٥٣.

٧٩ السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري، شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وآله، تحقيق. الجلاي، محمد

رضا، ط ٤، ١٤١٩، ص ٢٥١.

\* ابن أبي مليكة: عبد الله بن أبي مليكة واسم أبي مليكة زهير روى عن بعض الصحابة، ولم تذكر المصادر ترجمة وافية عنه سوى ما ذكرنا

ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٥/ص ٦٠.

\*\* البيتان للشاعر متمم بن نويرة بن حمزة بن اليربوعي التميمي، أسلم هو وأخوه مالك ولم يختلف في إسلامه، وكان شاعرا محسنا ليس

لأحد في المرثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكا. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤/ص ١٤٥٥-١٤٥٦.

فضلاً عن ذلك أورد السبكي (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) خمسة عشر حديثاً استدل بها على مشروعية زيارة قبر الرسول ﷺ وأبطل بها مبتدعات ابن تيمية بعد أن حقق أسانيدها<sup>٨١</sup>. وقد أكد في مقدمة هذا الكتاب أن هذه الأحاديث صحيحة، وأنه ردّ على القائلين بفسادها، بل زاد أن تلك الأقوال ظاهرة الفساد ولا تستحق الرد عليها، مؤكداً مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والتبرك به والاستشفاع عند قبره الشريف، إذ قال ما نصّه: ”وضمنتُ هذا الكتاب الرد على من زعم أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة، وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة، وهذه المقالة أظهر فساداً من أن يرد العلماء عليها“<sup>٨١</sup>.

ومن الأحاديث التي أوردتها مؤكداً ما ذهب إليه في مشروعية الزيارة والتبرك قول النبي ﷺ: ”من زار قبري وجبت له شفاعتي“<sup>٨٢</sup>، وبعد أن حقق سند الحديث متتبّعاً رواته بالبحث والتحقيق والتأكيد أن يكونوا من الموصوفين بالثقة في نقل الحديث، وبعد أن تأكد له سلامة سنده وتواتر طرق روايته قال: ”... وبذلك تبين أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسناً...“<sup>٨٣</sup>.

ومن الأحاديث الأخرى ذكر قول النبي ﷺ: ”من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي، كان عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة“<sup>٨٤</sup>. وقد نقل عن الحافظ المحدث سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن (ت ٣٥٣هـ / ٩٦٤م) قوله في صحة هذا الحديث بأنه ”مجمع على صحته“<sup>٨٥</sup>. وكذلك أورد قوله ﷺ: ”من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي“<sup>٨٦</sup>، ذاكراً طرق هذا الحديث ورواته متتبّعاً أحوالهم عند العلماء وتوثيق أحوالهم مؤكداً أن الحديث صحيح ومتواتر.

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وطلب شفاعته لأنه المبعوث رحمة للعالمين حياً وميتاً. وفي ذلك كفاية عن الرد على مثل هذه الافتراءات التي أوردتها ابن تيمية وأضرابه من الذين رأوا أن ذلك بدعة وضلالة.

٨٠ السبكي، ص ٦٠-١١٥.

٨١ السبكي، ص ٧.

٨٢ السبكي، ص ٨.

٨٣ السبكي، ص ١٤.

٨٤ السبكي، ص ٢٠.

٨٥ السبكي، ص ٢١.

٨٦ السبكي، ص ٢٢.

ثالثاً: التبرك بزيارة المراقد المقدسة في كتب الرحلات - رحلة ابن جبير إنموذجاً

### ١ - التبرك بأثار النبي ﷺ

يُعدُّ ما سجله ابن جبير من مشاهدات حول زيارة المراقد والمزارات الشريفة غاية في الأهمية لما تؤكد هذه المشاهدات من أن الناس كانوا يزورون تلك المشاهد عملاً بالسنة الشريفة، وما جرت عادة المسلمين عليه في ذلك الوقت. ويُعدُّ دليلاً دامغاً - على الرغم من عدم الحاجة إليه لتواتر الأدلة الثابتة على صحته في كتب المسلمين - على من عدَّ مثل هذه الزيارات بدعاً. ولعل أهم ما جاء في تلك الرحلة من مشاهدات سجلها ابن جبير: ما ذكره عن مصلى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، إذ وصف ازدحام الناس عليه للصلاة في ذلك الموضع الشريف تبركاً به<sup>٨٧</sup>.

وعند مروره بالوادي المعروف بذي طوى<sup>٨٨</sup> وهو الوادي الذي ذكر أن النبي ﷺ نزل فيه عند دخول مكة، وهو نتيجة لذلك موضع تقديس عند بعض الصحابة فيما سبق، حتى إن عبدالله بن عمر كان يغتسل قبل أن يدخله<sup>٨٩</sup>. وهو ما يدل على تقديس المسلمين لآثار النبي ﷺ والتبرك بها.

وصف قبة الوحي في دار أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) بالقول: ”وبها كان ابتناء النبي ﷺ بها وقبة صغيرة أيضاً في الدار المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها وفيها أيضاً ولدت سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهما وهذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة قد بنيت بناء يليق بمثلها”<sup>٩٠</sup>.

وهذا يدلُّ على أن العناية بهذه المشاهد لم يقتصر على عوام المسلمين، وإنما شمل كذلك السلطة الحاكمة كما يبدو من وصف ابن جبير للبناء المقام على ذلك المشهد، والمشهد الآخر الذي يمثل موضع ولادة النبي ﷺ والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسَّت جسمه الطاهر، فقد ذكر أنه ”بُني عليها مسجد لم يُرَ أحفل بناء منه أكثره ذهب منزل به والموضع المقدس الذي سقط فيه ﷺ ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين محفوف بالفضة”<sup>٩١</sup>. ووصف تبرك

٨٧ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٧٩

٨٨ الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص. ٤٥

٨٩ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٩١

٩٠ نصار، ص. ٩٣

٩١ نصار، المصدر نفسه والصفحة.

\* ذو طوى: وادٍ بمكة.

الناس بهذا الموضع الطاهر بالقول: ” يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه لأنه كان شهر مولد النبي ﷺ وفي اليوم المذكور ولد ﷺ وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها وهو يوم مشهور بمكة دائماً”<sup>٩٢</sup>.

وذكر أيضاً أن في دار خديجة ﷺ يقع محتباً النبي ﷺ وهو شبيه القبة وفيه مقعد في الأرض عميق شبيه الحفرة داخل في الجدار قليلاً وقد خرج عليه من الجدار حجر مبسوط كأنه يظل المقعد المذكور، قيل انه كان الحجر الذي كان غطى النبي ﷺ عند اختبائه في الموضع المذكور، وعلى كل واحد من هذه الموالد المذكورة قبة خشب صغيرة تصون الموضع غير ثابتة فيه، فإذا جاء الزائر قام بمناجاتها ولس الموضع الكريم وتبرك به ثم يعيدها لمكانها<sup>٩٣</sup>.

وزار ابن جبير دار عبدالله بن عبد المطلب والد النبي ص، واصفاً موضع ولادته الكريمة بقوله: ”ومولده ﷺ صفة صهريج صغير سعته ثلاثة أشبار وفي وسطه رخامة خضراء سعتها ثلثا شبر مطوقة بالفضة فتكون سعتها مع الفضة المتصلة بها شبرا ومسحنا الخدود في ذلك الموضع المقدس الذي هو مسقط لأكرم مولود على الأرض وممس لأطهر سلالة وأشرفها ﷺ ونفعنا بركة مشاهدة مولده الكريم“<sup>٩٤</sup>.

زار ابن جبير دار أبي طالب عليه السلام عم النبي ﷺ وكافله، ويقع شرقي الكعبة المشرفة ويتصل بصفح الجبل ويشرف عليه، وذكر أنه على مقربة من هذا البيت مسجد مكتوب عليه: ”هذا المسجد هو مولد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وفيه تربي رسول الله ﷺ وكان داراً لأبي طالب عم النبي ﷺ وكافله“<sup>٩٥</sup>.

وزار ابن جبير دار خديجة الكبرى ﷺ وموضع ولادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وتمسح بموضع ولادتهما، وعن تلك الزيارة قال واصفاً ذلك البيت: ”وهو بيت صغير مائل للطول،

٩٢ نصار، ص. ٩٣

٩٣ نصار، ص. ١٢٣-١٢٤

٩٤ نصار، ص. ١٤١

٩٥ نصار، ص. ١٤١

والمولد شبه صهريج وفي وسطه حجر أسود وفي البيت المذكور مولد الحسن والحسين ابنيها رضى الله عنهما لاصق بالجدار ومسقط شلو<sup>٩٦</sup>\* الحسن لاصق بمسقط شلو الحسين وعليهما حجران مائلان إلى السواد كأنهما علامتان للمولدين المباركين الكريمين ومسحنا الحدود في هذه المساقط المكرمة المخصوصة بمس بشرات الموالي الكرام رضوان الله عليهم<sup>٩٧</sup>.

ولم يقتصر تبرك المسلمين بآثار النبي ﷺ على مسجده الشريف أو موضع ولادته الطاهرة، وإنما تعدى ذلك حتى شمل الصخرة التي جلس عليها، فقد أشار ابن جبير إليها بالقول: "وعندما نخرج من البلدة - مكة - بنحو ميل تلقى مسجداً بإزائه حجر موضوع على الطريق كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر الرسم يقال انه الموضع الذي قعد فيه النبي ﷺ مستريحاً عند مجيئه من العمرة، فيتبرك الناس بتقبيله ومسح الحدود فيه، وحق ذلك لهم، ويستندون اليه لتنال أجسامهم بكرة لمسه"<sup>٩٨</sup>.

ويُفهم من هذا النص أن المسلمين كانوا يتبركون بتلك الصخرة لمجرد أنها مسّت جسد النبي ﷺ حين جلس عليها مستريحاً من عناء السفر. وقريباً منها ما نقله أيضاً بالقول: "... وقريباً من تلك الصخرة حجر كبير مسند إلى صفح الجبل مرتفع عن الأرض يظل ما تحته ذكر إن النبي ﷺ قعد تحته مستظلاً ومس رأسه المكرم فيه فلأن له حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دور الرأس فيبادر الناس لوضع رؤوسهم في ذلك الموضع تبركاً واستجارة لها بموضع مسه الرأس المكرم أن لا تمسها النار بقدره الله عز وجل"<sup>٩٩</sup>.

ولنا من ذلك أن نرى كيف كان المسلمون يتبركون بآثار النبي ﷺ بالتمسح والتقبيل ولمس المواضع التي لامست جسده الطاهر، أو التي تبركت بملامسته لها، مما يدل على أن الناس كانت تتعاهد هذه الأماكن بالزيارة لغرض التبرك بها، وطلب حاجة أو طلب الشفاعة من آثاره المباركة، وليس ذلك من قبيل الصدفة التي رآها ابن جبير في واحدة من سفراته، بل إنها ارتبطت بالمفاهيم الدينية والروحية في ذاكرة الناس وافهامهم وروحيتهم ارتباطاً وثيقاً مع قداسة النبي ﷺ ومكانته

٩٦ الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق. المخزومي، السامرائي، ابراهيم مهدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.)، ج٦/ص. ٢٨٤.

٩٧ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص١٤١-١٤٢.

٩٨ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٩١.

٩٩ نصار، ص. ١٢١.

\* شلو: العضو من الجسد.

الدينية والروحية لدى عموم المسلمين. لذا فلا عجب أن نرى توافد الناس على آثاره المباركة للتبرك بها فيشكل ذلك التحاماً روحياً مع تلك الآثار.

وتحدث ابن جبير عن زيارة الناس لغار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد به قبل البعثة الشريفة، وشهد نزول أول آية في القرآن عليه ﷺ، فقال: ”وأكثر الناس يتتابون هذا الغاز المبارك ويتجنبون دخوله من الباب الذي أحدث الله عز وجل فيه ويرومون دخوله من الشق الذي دخل النبي ﷺ تبركاً به فيمتد المحاول لذلك على الأرض ويسط خده بإزاء الشق ويولج يديه ورأسه أولاً ثم يعالج إدخال سائر جسده“<sup>١٠٠</sup>. وقد قام ابن جبير بالصعود بنفسه للغار والتشرف بزيارته: ”وتبركا بمس بشرة البدن بموضع مسه الجسم المبارك قدسه الله لأن مدخل النبي ﷺ كان منه“<sup>١٠١</sup>.

وشمل تبرك الناس ببقية الجذع الذي حنّ للنبي ﷺ، إذ يقبل الناس على تقبيلها ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح خدودهم فيها<sup>١٠٢</sup>.

وبعد أن يقدم ابن جبير وصفاً دقيقاً لمنبر الرسول ﷺ، ذكر أن الناس تُدخِلُ أيديهم مقعد النبي ﷺ ويتمسحون به تبركاً بلمس ذلك المقعد الكريم<sup>١٠٣</sup>، وأشار إلى أن هذا المقعد - أعلى المنبر - طبق عليه بلوح من الأبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه<sup>١٠٤</sup>.

مما يدل على العناية الكبيرة التي كانت السلطات توليها لتلك الآثار، ومحاولة صونها للحفاظ عليها لما تحمله معها من قداسة ارتبطت بأشرف الخلق محمد ﷺ.

ولم يكتف ابن جبير بنقل مشاهداته عن هذه المزارات ووصفها، بل نراه يتبرك بها بنفسه، ويهارس طقوسه العبادية مثلما يفعل غيره من الزائرين لتلك الآثار الكريمة، فقد ذكر أنه زار الروضة التي بين القبر المقدس والمنبر وصلى بها متبركاً بها، ثم استلم أعواد المنبر القديمة التي كانت موطأ الرسول ﷺ<sup>١٠٥</sup>. مما يدل على أنه مؤمن بما يفعل المسلمون، وساعياً لنيل بركة هذه الآثار المقدسة عند عموم المسلمين.

١٠٠ نصار، ص. ٩٤.

١٠١ نصار، ص. ١٢٢.

١٠٢ نصار، رحلة ابن جبير تراث الإنسانية، ص. ١٤٢.

١٠٣ نصار، ص. ١٤٢.

١٠٤ نصار، ص. ١٤٢.

١٠٥ نصار، ص. ١٦٧-١٦٨.

وفي مسجد قباء ذكر ابن جبير أن في وسطه مبرك الناقة بالنبي ﷺ وقد عملت بشكل حلق قصير شبه روضة صغيرة يتبرك الناس بالصلاة فيه<sup>١٠٦</sup>.

وشملت مشاهداته أيضاً مشاهد بعض الأنبياء ﷺ ومنهم مقام النبي إبراهيم ﷺ، فبعد أن يقدم وصفاً شاملاً له، ذكر أنه عاينه وتبرك بلمسه وتقبيله، وشرب من ماء زمزم الذي كان يُصب للناس في أثر القدمين المباركتين بجوار البئر فشرب مع من كان معه من الناس داعياً أن ينفعه الله به<sup>١٠٧</sup>.

ووصف قبر السيدة هاجر أم النبي إسماعيل ﷺ، وذكر أن الناس تتبرك بالصلاة في هذا الموضوع<sup>١٠٨</sup>. ويعلل هذا الفعل بالقول: ” وحق لهم - أي الناس - ذلك لأنهما من البيت العتيق وقد انطبقتا على جسدين مقدسين مكرمين نورهما الله ونفع ببركتهما كل من صلى عليهما وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار“<sup>١٠٩</sup>.

وفي مدينة الموصل ذكر ابن جبير مشهد النبي جرجيس\* ﷺ، وبعد أن وصف ذلك المقام ذكر زيارته له والتبرك به بالقول: ” فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده نفعنا الله بذلك“<sup>١١٠</sup>. وذكر زيارته للمسجد المبارك المنسوب لإبراهيم خليل الرحمن ﷺ في مصر فقال: ” وهو مسجد مذکور مشهور معلوم بالبركة مقصود، ويقال إن بفنائها اثر الدابة التي كان يركبها الخليل ﷺ“<sup>١١١</sup>.

## ٢- التبرك بآثار أهل البيت ﷺ

لم يقتصر تبرك المسلمين بآثار النبي ﷺ بل شمل كذلك زيارة أضرحة آل بيت النبوة ﷺ جميعاً والتبرك بها، وذكر ابن جبير أمثلة كثيرة منها، ما ذكره بخصوص قبر حمزة ﷺ عم النبي ﷺ وإن الناس تزوره ليتبركوا بتبرته<sup>١١٢</sup>.

١٠٦ نصار، ص ١٤٥

١٠٧ نصار، ص ٧٣

١٠٨ نصار، ص ٧٦

١٠٩ نصار، رحلة ابن جبير تراث الإنسانية، ص ٧٦

١١٠ نصار، ص ١٦٨

١١١ نصار، ص ٥٦

١١٢ نصار، ص ١٤٤

\* قام خوارج العصر - داعش - بتدمير هذا المقام الشريف بعد دخولهم الموصل بتاريخ ٢٨/٧/٢٠١٤ بحجة أنها أماكن كفر وزيارتها يعد من المحرمات الشرعية.



وحين استقر به المقام في مدينة الكوفة قدم لنا ابن جبير وصفاً خاصاً لهذه المدينة الكبيرة التي كانت في يوم من الأيام عاصمة الدنيا ومركز خلافة العالم الإسلامي في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقدّم وصفاً لجامعها العتيق بالقول: ”ولهذا الجامع المرمك آثار كريمة فمنها بيت بإزاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة يقال: إنه كان مصلى إبراهيم الخليل عليه السلام وعليه ستر أسود صوناً له ومنه يخرج الخطيب لابساً ثياب السواد للخطبة فالناس يزدهمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه“<sup>١١٣</sup>.

وهذا يدل على أن الناس كانت - وحتى وقت ابن جبير - يتبركون بهذا الجامع وما يحويه من أماكن مقدسة، ويصلون فيه تبركاً وتقديساً لتلك الأماكن الشريفة.

ويؤكد ذلك ما أضافه من حديث عن محراب أمير المؤمنين عليه السلام ومكان ضربه من عدو الله ابن ملجم، وتأكيده أن الناس ما تزال تزور هذا الموضع الشريف يصلون فيه ويكفون هول تلك المصيبة ويتذكرونها فيما بينهم، وفي ذلك يقول: ”وعلى مقربة منه مما يلي الجانب الأيمن من القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف فالناس يصلون فيه باكين داعين“<sup>١١٤</sup>.

وصف المواضع المقدسة الأخرى في الكوفة وبعض المواضع الأخرى فضلاً عن بيت أمير المؤمنين عليه السلام وموضع غسله الشريف بالقول: ”وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيته الذي كان فيه وفي ظهره بيت آخر يقال إنه كان متعبداً لإدريس عليه السلام ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد يقال إنه كان منشأ السفينة، ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب عليه السلام والبيت الذي غسل فيه، ويتصل به بيت يقال إنه كان بيت ابنة نوح عليه السلام“<sup>١١٥</sup>.

وكل هذه المواضع التي ذكرها ووصف إقبال الناس عليها لزيارتها والتبرك بها لما تحملها من معاني عميقة في نفوس المسلمين جميعاً، ولدلالاتها العظيمة على قيمة أصحاب تلك الآثار، ومدى ارتباطها

١١٣ نصار، ص. ١٨٨.

١١٤ نصار، رحلة ابن جبير، ص. ١٨٨.

١١٥ المصدر نفسه.

بالموروث العقائدي عند المسلمين، وعظمتها في نفوسهم بما تحمله من آثار نفسية ودينية ارتبطت بالعقيدة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً لا يفصل عنها.

وذكر أن هناك مشاهد كثيرة لأهل البيت عليهم السلام في البقيع، رجالاً ونساءً، مؤكداً أنه قد احتفل الشيعة في البناء عليهم ولها الأوقاف الواسعة<sup>١١٦</sup>. مما يدل على عظيم شأن هذه القبور وأصحابها حتى أن المسلمين اهتموا بها هذا الاهتمام.

حين زار بغداد وصف ابن جبير بعض المشاهد في هذه المدينة التي كانت حاضرة العالم، وفيها العديد من المشاهد والقبور للأئمة والصالحين، إلا إن الملاحظ عليه هنا أنه مرّ مرور الكرام على مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، على الرغم من شهرته وكثرة زائريه من المسلمين للتبرك وطلب الحاجة، فضلاً عن بعض المشاهد لبعض أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وفي زيارته تلك يقول: ”وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفي الجانب الغربي أيضاً قبر موسى بن جعفر رضى الله عنهما إلى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الأولياء والصالحين والسلف الكريم رضى الله عن جميعهم“<sup>١١٧</sup>.

أما في مصر فقد ذكر ابن جبير المشهد الحسيني الشريف في القاهرة ووصفه بأنه أحد المشاهد المباركة والآثار العظيمة الشأن بالمدينة، إذ يعتقد أن رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام مدفون هناك، ووصف بنائه في تلك المدة بالقول: ”وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به“<sup>١١٨</sup>.

وقد وصف بناءه وصفاً دقيقاً يدل على مدى العناية الكبيرة التي حظي بها هذا المقام، منذ عهد بنائه حتى زمن ابن جبير سواءً في عمارته أو في تعاهد الناس على زيارته والتبرك به والمحافظة عليه من كل العوارض الطبيعية وغير الطبيعية، فقد ذكر في وصفه قائلاً: ”مجلل بأنواع الديباج مخفوف بأمثال العمدة الكبار شمعاً أبيض ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ومنها

١١٦ نصار، ص. ١٩٥

١١٧ نصار، رحلة ابن جبير، ص. ٢٣

١١٨ المصدر نفسه، ص. ٤٨٠

مذهبة وعلقت عليه قناديل فضة وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح<sup>١١٩</sup> \* ذهباً في مصنع<sup>١٢٠</sup> \* شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً فيه من أنواع الرخام المجزع<sup>١٢١</sup> \* \* \* \* \* الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون ولا يلحق أدنى وصفه الوصفون<sup>١٢٢</sup>.

وذكر أيضاً زيارة الناس للقبر المبارك، واحداقهم به وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله باكين متوسلين إلى الله تعالى ببركة التربة المقدسة<sup>١٢٣</sup>.

ويعدّ هذا المشهد الشريف، أحد المزارات المهمة في القاهرة<sup>١٢٤</sup> ١٢٥. والجدير بالذكر أن هذا المشهد الشريف أسس في خلافة الفائز الفاطمي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) إذ ذكرت الروايات أن طلائع بن رزيك (ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) \* \* \* \* \* ١٢٦ ١٢٧ - وزير الخليفة الفائز - نقل الرأس الشريف - على حد قوله - من عسقلان إلى مصر، ودفنه في باب زويلة سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) ١٢٨ ١٢٩.

١١٩ ابن منظور، لسان العرب، ج٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ص. ٤١٨.

١٢٠ ابن منظور، ج٨/ ص. ٢١١.

١٢١ ابن منظور، ج٨/ ص. ٤٨.

١٢٢ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٤٨.

١٢٣ نصار، ص. ٤٨.

١٢٤ الفلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى في كتابة الانشا (مصر: نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، د.ت.)، ج٣/ ص. ٣٤٧.

١٢٥ المقرئزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقرئزية (القاهرة، د.ت.)، ج١/ ص. ٤٢٧.

١٢٦ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق. احسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤)، ج٢/ ص. ٥٢٨.

١٢٧ الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام، وذيله، تحقيق. تدمري، عمر عبد السلام، ط٢ (دار الكتاب العربي، دار المغني للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)، ج٣٨/ ص. ١٩٨.

١٢٨ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ط٢ (النجف)، ج١/ ص. ٢٣٣.

١٢٩ الفلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق. فراج، عبد الستار احمد (الكويت، ١٩٦٤)، ص. ١١٩-١٢٠.

\* تفافيح: جمع تفاحة وهي الفاكهة المعروفة.

\* \* \* \* \* المصنع: هي مساكنات ماء السياء يحترفها الناس فيملؤها الماء ويستخدمونها للشرب.

\* \* \* \* \* المجزع: كلمة تقال في وصف التمر والرطب إذا بلغ الاستواء ثلثيها.

\* \* \* \* \* وقد استخدمها ابن جبير لوصف جمال ذلك البناء واعمدته واصفاً إياه بالرطب الذي قارب على النضج ويريد به جمال المنظر. \* \* \* \* \* طلائع بن رزيك هو: طلائع بن رزيك، اشتهر بلقب الملك الصالح، يعد من الملوك، أصله أرمني، وهو من الشيعة الإمامية، استوطن العراق ثم قدم مصر، وكان رجلاً فقيراً، فعمل في خدمة خلفاء الدولة الفاطمية حتى ولي (منية ابن خصيب) وهي من أعمال الصعيد في مصر، فلما قتل الظافر إسماعيل صاحب مصر، استنجد أهل مصر به فتوجه إلى القاهرة على رأس جمع كبير من العربان فدخل الصالح إلى القاهرة، وأقام الفائز خليفة على الدولة، وولاه الفائز الوزارة، فاستقل بالأمور وتدير أحوال الدولة وكانت ولايته سنة ٥٤٩هـ، ولما مات الفائز سنة ٥٥٥هـ، وولي العاضد بالخلافة بعده، تزوج الأخير بنت طلائع، واستمر في منصب الوزارة، إلا أن عمه العاضد كرهت استيلاءه على أمور الدولة وأمواها، فدبرت لقتله فأكملت له جماعة من السودان في دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد وكان ذلك في سنة ٥٥٦هـ. وصف بأنه كان فاضلاً سمحاً في العطاء، محباً لأهل الفضائل، جواداً كريماً، جيد الشعر، وله ديوان في جزأين.

ومن مشاهد أهل البيت (عليه السلام) مشهد أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويقع هذا المشهد بقرية (راوية) <sup>١٣٠\*</sup>، وقد وصفه وذكر زيارته له بالقول: "مسجد كبير وخارجة مساكن وله أوقاف وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الست أم كلثوم مشينا إليه وبتنا به وتبركنا برؤيته نفعنا الله بذلك" <sup>١٣١</sup>.

وذكر ابن جبير، مشاهداته للقرافة وهي موضع للدفن هناك، فقال: «إن القرافة إحدى عجائب الدنيا لما تحتويه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء وذوي الكرامات الشهيرة والأبناء الغربية» <sup>١٣٢</sup>.

وأحصى عدد مشاهد أهل البيت هناك بـ (أربعة عشر رجلاً) و(خمسة من النساء) <sup>١٣٣</sup> وهم: الإمام علي بن الحسين بن علي (عليه السلام)، والقاسم بن محمد بن جعفر الصادق (عليه السلام)، وابناه الحسن والحسين، وابنه عبد الله بن القاسم، ويحيى بن القاسم، وعلي بن عبد الله بن القاسم، وأخوه عيسى بن عبد الله (رضوان الله عليهم)، ويحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن، ومحمد بن عبد الله بن محمد الباقر، وجعفر بن محمد من ذرية علي بن الحسين (عليه السلام) جميعاً <sup>١٣٤</sup>.

وعلى الرغم من أن ما ذكره ابن جبير عن هذه المدافن الشريفة لا يخلو من الخطأ، ولا يمكن الجزم بصحة جميع ما ذكره عن هذه المشاهد الشريفة، فبعض ما ذكره كان صحيحاً، والبعض الآخر غير دقيق، وأثبتت المصادر خطأ رأيه، وليس هذا البحث مخصصاً لإثبات صحة أو خطأ رأيه حول مكان تلك المشاهد الشريفة. إلا أن بعض آرائه الواردة لا يمكن إغفال خطأها، وهي مشهورة لا تحتاج إلى إثبات أو برهان، فكما هو معروف إن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) دُفن بعد

وفاته بمقبرة البقيع <sup>١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨</sup>.

١٣٠ الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ص ٢٠.

١٣١ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص ٢٥٣.

١٣٢ نصار، ص ٤٩.

١٣٣ نصار، ص ٤٩.

١٣٤ نصار، ص ٤٩.

١٣٥ ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، تقديم. عباس، احسان (بيروت: دار صادر، ١٩٨٥)، ج ٧/ص ٢٠٩-٢١٩.

١٣٦ البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي، انساب الاشراف، تحقيق. زكار، سهيل. زركلي، رياض، ط ١ (بيروت، ١٩٩٦)، ج ٣/ص ٣٦٢.

١٣٧ يعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ يعقوبي، تحقيق. المنصور، خليل (قم، ١٤٢٥هـ)، ج ٢/ص ٢١٢.

١٣٨ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، ج ٣/ص ٢٦٦-٢٦٩.

\* راوية: بكسر الواو، وياء مثناة، قرية من غوطة دمشق

وذكر ابن جبير، أن في القرافة أيضاً مشاهد خمسٍ من العلويات الشريفات، وهن السيدة أم كلثوم ابنة القاسم بن محمد بن جعفر الصادق عليه السلام، والسيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، والسيدة أم كلثوم ابنة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام، والسيدة أم عبد الله بن القاسم بن محمد، والسيدة مريم ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ١٣٩.

وأكد وجود هذه المشاهد الشريفة، لأنه شاهدها، عدا مشهد السيدة مريم بنت الإمام علي عليه السلام، فهو لم يعاينه، أما باقي المشاهد فقد عاينها وقرأ ما مكتوب عليها، وذكر إن الأسماء المكتوبة عليها مجزوم بصحته لتواتر الأخبار بصحة ذلك، وختم قوله عن تلك المشاهد: " أن على كل واحدٍ منها بناء حفل، وهي روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان، وقد وكل بها قومه يسكنون فيها ويحفظونها، وان منظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر " ١٤٠.

### ٣- التبرك بآثار الصحابة

ولم تقتصر الزيارة على آثار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام جميعاً، وإنما شمل كذلك مشاهد الصحابة وآثارهم، وقد ذكر ابن جبير عدداً من هذه المشاهد، ووصفها وصفاً دقيقاً، ومن تلك المشاهد التي يزورها الناس ويتبركون بها، دار أبي بكر إذ ذكرها بالقول: " وهي اليوم دراسة الأثر ويقابلها جدار فيه حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وآله متى ما جاء إليه " ١٤١.

وذكر قبر الصحابي أوس بن أوس الثقفي\* ويقع في الجهة التي تلي قبر الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى مقربة منه يقع قبر الصحابي بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكر عن هذا المشهد ما نصّه: " إن الدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب قد جرب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم إلى قبور كثيرة من الصحابة وسواهم من الصالحين ممن قد ذهب اسمه وغبر ذكره " ١٤٢.

١٣٩ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٥٠.

١٤٠ نصار، ص. ٥٠.

١٤١ نصار، رحلة ابن جبير تراث الانسانية، ص. ٩٣.

١٤٢ نصار، ص. ١٩٥.

\* لم نجد له ترجمة في المصادر المتوافرة.

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في محراب مسجد دمشق ذكر أن هناك خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان بن عفان، وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام، وأن هذه الخزانة تفتح كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقيله ويكثر الازدحام عليه<sup>١٤٣</sup>.

وفي طريق الجزيرة وصف هناك قصر يسمى قصر سعد وهو على فرسخ من مدينة (ثرمة) - من مدن الجزيرة - وهو مشيد البناء قديم الوضع، يرجع إلى عهد ملك المسلمين للجزيرة، وحول هذا القصر قبور كثيرة للمسلمين أهل الزهادة والورع، وهو موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان<sup>١٤٤</sup>.

## الخاتمة وأهم الاستنتاجات

توصل البحث في نهايته الى النتائج الآتية: -

١- يُعدُّ موضوع زيارة المراقد المقدسة والتبرك بآثار النبي ﷺ وآل بيته الأطهار ﷺ من المواضيع المهمة، فقد تناولتها المصادر الإسلامية وأكدت مشروعيتها، وأوردت روايات وأحاديث كثيرة حول قيام المسلمين بأداء مراسيم زيارتها والتبرك بها.

٢- لم ترد آية في القرآن الكريم تنص صراحة على مشروعية الزيارة، إلا أن هناك اشارات تدل على مشروعيتها، فضلاً عن مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ، وهو ما ذهب إليه أغلب المفسرين.

٣- وردت آثار كثيرة عن النبي الأكرم محمد ﷺ تحث على زيارة مشهده المبارك والتبرك به، وما يترتب على ذلك من آثار إيمانية عظيمة.

٤- تؤكد بعض هذه الأحاديث زيارة قبور المسلمين عامة لغرض أخذ العضة والعبرة منها.

٥- أكدت العديد من الحوادث التاريخية قيام النبي ﷺ بزيارة قبر أمه آمنة وبعض أقاربه والدعاء لهم، وقام بعض الصحابة بزيارة قبور أهلهم كذلك وتفقدهم بصورة مستمرة.

٦- يُعدُّ ابن جبير من أهم الرحالة المسلمين الذين ركزوا في رحلاتهم على نقل تفاصيل المشاهد المقدسة للنبي محمد ﷺ وآثاره المباركة، فوصف بناءها وصفاً دقيقاً، وذكر زيارة المسلمين لتلك الآثار وتبركهم بها. فمثلت كتاباته وثيقة مهمة تؤكد مشروعية الزيارة في تلك الفترة من تاريخ الدولة الإسلامية، وهي نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين.

٧- أشار أغلب فقهاء المسلمين إلى جواز زيارة قبر الرسول ﷺ والأئمة ﷺ والصحابة والتبرك بآثارهم لما في ذلك من أثر إيماني يعمل على تهذيب النفس وتربيتها للسير على خطى أصحاب تلك المشاهد المباركة. فيما شدَّ بعض النواصب والحاقدين على النبي ﷺ وأهل بيته الى أن يعدّوا ذلك من قبيل الكفر فلم يجوزوه، بل أفتوا بكفر كل من زار قبراً أو أثراً للنبي ﷺ أو أهل بيته ﷺ أو صحابته.

٨- تُعدُّ رحلة ابن جبير من أهم الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون على مرِّ العصور، وتأتي

أهميتها كونها شملت مدناً وبلدان كثيرة، وقدّمت صورة تكاد تكون وافية حول المشاهد والآثار التي شاهدها بنفسه ونقل من خلالها اقبال الناس على زيارتها والتبرك بتلك الآثار المقدسة.

٩- إن ما قدمته مشاهدات ابن جبير حول تلك المزارات والمشاهد المقدسة تؤكد بما لا يقبل التأويل مشروعية زيارة المراقد المقدسة وأن موضوع التبرك بالآثار كان منتشرًا بكثرة بين المسلمين حتى وقت متأخر من عمر الدولة الإسلامية - نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري، وما زال راسخاً في نفوس المؤمنين حتى يومنا هذا. على الرغم من ارتفاع بعض الاصوات النشاز بين مدة وأخرى تدعو إلى ترك هذه الممارسة العبادية المهمة.



## المصادر والمراجع:

- محمود. بيروت: دار المعرفة للطباعة، د.ت.
- التلمساني، المقري، احمد بن محمد. نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب .طويل، مريم علي. طويل، يوسف علي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- التوبة. القرآن الكريم، د.ت.
- الجارود، الطيالسي، سليمان بن داود بن. مسند أبي داود الطيالسي. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الحجرات، د.ت.
- الحراني، ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم. الفتاوى الكبرى .مخولف، حسين محمد. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الحنبلي، ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي. شذرات الذهب في اخبار من ذهب .عطا، مصطفى عبد القادر. ١. بيروت، ١٩٩٨م.
- الدين، الزركلي، خير. الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٦م.
- الدين، الهندي، علاء الدين علي بن حسام. كنز العمال .حياني، الشيخ بكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
- الرومي، الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
- الزهري، ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن منيع البصري. الطبقات الكبرى .عباس، احسان. بيروت: دار صادر، ١٩٨٥م.
- السلماني، ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبد الله. الاحاطة في اخبار غرناطة .عبد الله، محمد.
- القرآن الكريم.
- أحمد، الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن. العين.
- المخزومي، السامرائي، ابراهيم مهدي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- أيوب، الطبراني، سليمان بن احمد بن. المعجم الأوسط .قسم التحقيق بدار الحرمين. دار الحرمين للطباعة، د.ت.
- إدريس، الشافعي، محمد بن. الأم. ط٢. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر. وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان .احسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م.
- احمد، احمد، رمضان. الرحلة والرحالة المسلمون. د.م.: دار البيان العربي، د.ت.
- الأنصاري، السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي. شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وآله .الجلالي، محمد رضا. ط٤.، ١٤١٩م.
- البغدادي، ابن عبد الحق، صفى الدين. مراصد الاطلاع على اساء الامكنة والبقاع .البجاوي، علي محمد. ط١. د.م.: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.
- البغدادي، الألويسي، أبو الفضل محمود. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- البغدادي، البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر. انساب الاشراف .زكار، سهيل. زركلي، رياض. ط١. بيروت، ١٩٩٦م.
- التأويل، تفسير النفسى مدارك التنزيل وحقائق النسفى، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن

١. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م.
- الشيباني، ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم. اسد الغابة في معرفة الصحابة. معوض، علي محمد. عبد الموجود، عادل احمد. ط ٢. بيروت، ٢٠٠٣م.
- الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م.
- الطوسي، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.
- الغرناطي، ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد. المغرب في حل المغرب. منصور، خليل. ط ١. بيروت، ١٩٩٧م.
- القرطبي، ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله. الاستيعاب في معرفة اسماء الاصحاب المطبوع على هامش الاصابة في تمييز الصحابة. محمد، طه. القاهرة، ١٩١٠م.
- القوي، المنذري، زكي الدين ابي محمد عبد العظيم بن عبد. التكملة لوفيات النقلة. معروف، بشارة عواد. ج ٤. النجف: مطبعة الاداب، ١٩٧١م.
- الكمال، السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- الكهف. القرآن الكريم، د.ت.
- الله، الغبريني، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد. عنوان الدرّاية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. نويّض، عادل. ط ٢. بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٧٩م.
- الله، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. شرف الدين، محمد. استانبول، ١٩٤١م.
- الله، عنان، محمد عبد. دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٠.
- المنعم، الحميري، محمد بن عبد. الروض المعطار في خبر
- الاقطار. عباس، احسان. ط ١. بيروت، ١٩٨٤م.
- النساء. القرآن الكريم، د.ت.
- اليميني، الخزرجي، صفى الدين احمد بن عبد الله. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال. أبو غدة، عبد الفتاح. ط ٤. بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ودار البشائر الإسلامية، ١٤١١هـ.
- بكر، الهيثمي، علي بن أبي. مجمع الزوائد ومنع الفوائد. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
- جرير، الطبري، ابو جعفر محمد بن. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م.
- جعفر، السبحاني،. الزيارة في الكتاب والسنة. د.م.، د.ت.
- حاتم، ابن أبي. الجرح والتعديل. د.م.، د.ت.
- حسين، البيهقي، ابو الفضل محمد بن. السنن الكبرى. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- شعب الإيمان. بن بسونى، ابو هاجر محمد السعيد. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- حسين، مؤنس،. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس. مدريد: معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٦٧م.
- حسين، نصار،. رحلة ابن جبير تراث الانسانية. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- سهل، السرخسي، محمد بن احمد بن. المبسوط في شرح الكافي للمروزي. مجموعة من العلماء. ط ٢. بيروت: دار المعرفة للطباعة، ١٩٨٦م.
- شكيب، ارسلان،. الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية. ط ١. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٩م.
- شوقي، ضيف،. الرحلات. ط ٤. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.  
قايماز، الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان بن. تاريخ  
الإسلام، وذيله. تدمري، عمر عبد السلام. ط٢.  
دار الكتاب العربي، دار المغني للنشر والتوزيع،  
١٩٩٠م.

محمد، الريامي، كمال بن. مشاهير الرحالة العرب.  
القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

محمد، السمعاني، أبو المظفر منصور بن. تفسير السمعاني.  
بن ابراهيم، ياسر. بن غنيم، غنيم بن عباس. ط١.  
الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م.

محمد، حسن، زكي. الرحالة المسلمون في العصور  
الوسطى. بيروت، ١٩٩٨م.

مظفر، ابن الوردي، زين الدين عمر بن. تاريخ ابن  
الوردي. ط٢. النجف، ١٩٦٩م.

منظور، ابن. لسان العرب. ج٢. القاهرة: دار المعارف،  
د.ت.

نيقولا، زيادة. الرحالة العرب. القاهرة، ١٩٥٦م.  
همام، الصنعاني، عبد الرزاق بن. المصنف. الاعظمي، عبد  
الرحمن. ط٢. بيروت: دار الفكر للطباعة، د.ت.

واضح، اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن.  
تاريخ اليعقوبي. المنصور، خليل. قم، ١٤٢٥هـ.

يوليانوفتش، كراتشكوفسكي، اغناطيوس. تاريخ الادب  
الجغرافي العربي. هاشم، صلاح الدين. بلبايف،  
ايغور عثمان. موسكو، ١٩٥٧م.

صائب، عبد الحميد. الزيارة والتوسل. ط١. قم:  
مركز الرسالة، ١٤٢١هـ.

عبدالله، الأزرق، محمد بن. أخبار مكة وما جاء  
فيها من الآثار. ملحق، رشدي صالح. قم:  
انتشارات الشريف الرضي، ١٤١١هـ.

عثمان، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن.  
العبر في خبر من غبر. المنجد، صلاح الدين.  
الكويت، ١٩٦٦هـ.

----- سير اعلام النبلاء. عبد الحلیم، محمد بن  
عبادي. ط١. القاهرة: مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م.

عزيز، احمد. تاريخ صقلية الاسلامية. الطيبي، امين  
توفيق. د.م. الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م.

علي، ابن حجر، شهاب الدين احمد بن. الاصابة في  
تمييز الصحابة. العطار، صدقي جميل. ط١.  
بيروت، ٢٠٠١م.

علي، القلقشندي، ابو العباس احمد بن. صبح  
الاعشى في كتابة الانشا. مصر: نسخة مصورة  
عن الطبعة الاميرية، د.ت.

----- مآثر الانافة في معالم الخلافة. فراج، عبد  
الستار احمد. الكويت، ١٩٦٤م.

علي، المقرزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن.  
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار  
المعروف بالخطط المقرزية. القاهرة، د.ت.

عمر، الدارقطني، علي بن. سنن الدارقطني.  
الشوري، مجدي بن منصور بن سيدي.

